جامعة محمد لمين دباغين سطيف2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علوم الإعلام والاتصال

**المستوى: الثانية ماستر تخصص ' الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة '**

**مقياس: إثنوغرافيا الجمهور والمستخدمين**

## المحاضرة الثانية عشر : من اثنوغرافية جمهور التلفزيون الى اثنوغرافيا مستخدمي الانترنت

### 1- استخدام المنهج الإثنوغرافي في أبحاث الجمهور:

يرجع الفضل في تطوير المنهج الأنثروبولوجي في دراسات الاتصال الجماهيري عامة ودراسات الجمهور بصفة خاصة إلى تيار الأبحاث المتعلقة بالأسر والتكنولوجيات المتولد عن الاستعمال العائلي المتنامي للمبتكرات التكنولوجية الحديثة( :التلفزيون، مسجل وقارئ الفيديو، والحاسوب)، حيث سجلت منذ ثمانينيات القرن الماضي قطيعة مع تيار الأبحاث الغالب في هذا المجال والذي كان يركز على تحليل البرامج الإعلامية العامة والمجلات السياسية.

### 2 - المحاولات الأولى للدراسات الإثنوغرافية في أبحاث جمهور التلفزيون:

وقد جاءت أولى المحاولات في هذا الصدد في العقد الثامن من القرن الماضي، في وقت كان فيه العالم مقبل على عهد جديد في مجال الاتصال المباشر عبر الوطني لفضل ظهور الصحافة الالكترونية والبث التلفزيوني المباشر عبر السواتل، ومطالبة الدول السائ رة في طريق النمو آنذاك بنظام إعلامي دولي جديد أكثر عدلا وتوازنا، وبداية انهيار الثنائية القطبية، وبروز الأحادية في تنظيم الشؤون الدولية .ولقد طرحت في سياق تلك الظروف التاريخية، تساؤلات حول الحصص المسماة الاتصال السياسي الموجهة لجمهور عريض غير منسجم قبل أن تشمل جميع الأنواع المسماة شعبية( رياضة، منوعات، أوبرات صابونية ومسلسلات بوليسية.)كما طرحت على بساط البحث القضايا المتعلقة بالعينة التمثيلية مثل النوع( ذكر –أنثى )والانتماء الطبقي والجماعات الاثنية .وكان هدف هذا التيار الجديد الذي يندرج في نفس منظور)Decoding-Encoding الذي تبناه ستيوارت هولHall Stuart ( في الوصول إلى مؤشرات تأويل الجمهور للرسائل الإعلامية انطلاقا من متغيرات النوع والانتماء الطبقي الاجتماعي .وقد أظهرت نتائج الدراسة درجات التعقيد وتنوع أنّاط فك الرموز واستحالة فهم تعدد القراءات الممكنة انطلاقا من متغير الانتماء الطبقي الاجتماعي وحده.

**3 - اثنوغرافيا المشاهدة التلفزيونة منDavid Morly إلى James Lull :**

– ويذكر أنّ الباحث الأمريكي James Lull – قدم للبحوث الإعلامية دراساته التي جمعها في كتاب موسوم ب : **عالم العائلات بحث اثنوغرافي حول جمهور التلفزيون**، وهو عالم حاول من خلاله رصد ووصف مختلف التّفاعلات مع مضامين التّلفزيون من خلال غوصه في عدّة مناطق من العالم، ليستنتج في المقام الأوّل وبناءا على المقابلات والملاحظات التي سجلها أن الممارسات التلفزيونية ما هي إلا امتداد للممارسات الثّقافية اليومية وللاتجاهات النّفسية والسّلوكية. وشملت هذه البحوث كلّ من الهند وبريطانيا وفنزويلا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة والصّين الشّعبية، وهذا في المناطق الريفية والحضرية .ووفّرت البحوث التي شملت منطقة الهند قيمة خاصة لأنّها كشفت عن نقاط هامة من الاختلافات الثّقافية الواسعة من داخل الأسر المبحوثة، أين اهتم الباحث بكلّ التفاصيل اليومية داخل الأسرة، مبرزا أوجه التّباين بين الجنسين التي استنتج فيها أنّها اختلافات عالمية واضحة وملفتة للاهتمام، حيث بيّن أنّ هناك اختلاف بين الرّجل والمرأة في تفضيلات البرامج التلفزيونية، فالرّجال في الصّين وفنزويلا يفضّلون برامج حول العمل والرّياضة والمغامرات الجديدة في حين تفضّل النّساء المسرحيات والمسلسلات ، والأفلام والموسيقى برامج الرّقص وبرامج الكوميديا

**4- الدّراسات الإعلامية من الإثنوغرافيا إلى النتنوغرافيا:**

لقد شهدت البشرية تغيرات وتحولات كثيرة في العديد من مجالات الحياة، وأفرزت بدورها العديد من الظواهر الاتصالية المتنوّعة، فأصبح المستخدمون يتواجدون رقميا في منصات وبيئات رقمية مختلفة ، وعليه كان لازاما من البحث على مناهج تتلاءم وهذه الاشكال الجديدة المتطورة بشكل متسارع، لهذا لجأ الباحثون إلى ما يسمى بالإثنوغرافيا الافتراضيةEthnographie virtuelle أو النتنوغرافيا، وهذا أمام تعثّر الدّراسات الامبريقية أو الكمية التي لم تعد تستطع تفسير ما يحدث على مستوى هذا العالم الافتراضي من تفاعلات واتصالات سريعة

- وقد قدمت الباحثتان Jennifer L. Moren-Cross وDrentea Patricia بدراسة اثنوغرافية اعتمدت أداة الملاحظة بالمشاركة الافتراضية وستهدفت جماعة من الأمهات التي كانت تتقاسم نفس الاهتمامات والوضع على شبكة الانترنت، وكن يتبادلن النّصائح والمعلومات حول الحمل والولادة والرّضاعة، وقد كانت الباحثة **جنيفر موران كروس** إحدى المشاركات في هذه المجموعة، ما مكنها من ملاحظة الأخريات بالمشاركة في المجموعة.
ولدراسة هذه المجتمعات التي ظهرت كبديل للمجتمعات الواقعية على الصّفحات الاليكترونية، ومرآة عاكسة للتطوّر التكنولوجي الرّهيب الذي يعيشه المجتمع المعاصر، وفرضت قيودا جديدة على الباحثين الذين اعتمدوا المنهج الكيفي في دراسة وتحليل ومعالجة هذه الظّواهر الافتراضية

**- الإثنوغرافيا في البيئة الرقمية :**

إن انتقال **الإثنوغرافيا إلى العالم الافتراضي**، أثر لا محالة على خصوصيات البحث الإثنوغرافي وعلى طرق إنجازه .فلم يعد ميدان البحث هو البيئة الواقعية الذي يعيش فيها الأفراد، وإنّا أصبح ميدانا شبكيا متعدد المواقع،كما أن الملاحظة بالمشاركة الأداة الرئيسية للبحث الإثنوغرافي، أخذت أشكالا أخر وأصبح الباحث يراقب ويشارك مبحوثيه من خلف شاشة الكمبيوتر.

**– إن الإثنوغرافيا الافتراضية كمنهجية** بحثية تمثل خطوة لإعادة تصور مفهوم **"المجال" التقليدي** كما اعتمده علماء الإثنوغرافيا، وتنقله إلى مستو آخر خاص، ففي الفضاء الافتراضي حدود المجال الملاحظ افتراضي وخالي من التموقع في المكان أو الجغرافيا. فكلما أجر الأفراد المزيد من الأنشطة عبر الإنترنت، وتركوا بصمات رقمية )الصور، المدونات، رسائل البريد الإلكتروني(، تمكن الباحثون من دراسة السلوك الإنساني في الفضاء الافتراضي فالإثنوغرافيون الافتراضيون يشاركون ويلاحظون المدونات ومواقع الويب وغرف الدردشة، ويحللون كيف يشكل الناس على شبكات التواصل الاجتماعي أو مجموعات الإنترنت هوياتهم الثقافية.

**– أدوات جمع البيانات في البيئة الرقمية :**

**الملاحظة بالمشاركة الافتراضية:** غالبا ما يكون الباحث عضوا فاعلا داخل المجتمع أو المجتمعات الافتراضية، ويكون حاضرا أثناء حدوث الظاهرة، أو يكون بكل بساطة عرضة للفعل أو جزء من التفاعل الالكتروني، وتستعمل هذه الوسيلة خاصة في دراسة المجتمعات الصعبة الدراسة أو المجتمعات المميزة أو المغلقة، فهذه الوسيلة تمكن الباحث أن يكون جزء من المجتمع المدروس وفي نفس الوقت يجعل أفراد المجتمع المدروس على طبيعتهم الأولية، شرط أن لا يؤثر الباحث فيهم ولا في بيئتهم وأهم ما يجب أن يكون عند الملاحظةg لمشاركة الالكترونية هو الوصف الدقيق لكل ملامح الظاهرة من مكان وقوعها (المواقع، غرفة الدردشة) ومختلف الآراء والمشاعر، وترجمته وتاويل الباحث للإيقونات والرموز المستخدمة داخل المجتمعات الافتراضية

وفي فضاء الإعلام الجديد، تتمثل أدوات الدراسة الاثنوغرافية الإفتراضية في المقابلات الالكترونية مع المستخدمين المشاركين، أو الملاحظةg لمشاركة أو غير المشاركة، كما تجرى مقابلات جماعية متعمقةg ستخدام الرسائل المباشرة الفورية للرد على تساؤلات الاثنوغرافيين المشاركين، أو يتم تحليل البريد الالكتروني والصور والرسوم ولغة الجسد ونبرة الصوت وتعبيرات الوجه، أو تحليل طرق استخدام المشاركين لكاميرات الويب أو الفيديو.

**وتحظى المقابلة الالكترونية** بمجموعة من المزايا تمكن الباحث التعرف على المشاعر والآراء في وضعية ما أو مشكلة ما أو سلوك ما ...والمقابلات مهمة ومواتية في الدراسات الاثنوغرافية خصوصا لمعرفة كيف أن المستخدمين يدركون أو يتمثلون مشكلة أو سلوكا لفهم مسببات إعلامية (الدوافع والأطر المفاهيمية التي تحدد السلوك) ولدراسة المستخدمين فإن المقابلة تقنية مباشرة وتكون غالبا وجها لوجه عن طريق كاميرا الواب تستعمل من أجل مساءلة المستخدم بكيفية منعزلة لكن أيضا مساءلة جمالية بطريقة نصف موجهة تسمح خذ معلومات كيفية /دف التعرف العميق على الأشخاص المبحوثين.

) وسواء كانت المقابلة موجهة أو غير موجهة فهي أداة تتناسب والبحث الاثنوغرافي وتسمح بالحصول على معلومات كيفية بهدف التعرف على الظاهرة المدروسة وإظهار سمات شخصية الجماعات التي تدور حولها إشكالية الدراسة.

**المراجع:**


- جياميتر وجوبو، (2014 ،(إجراء البحث الاثنوغرافي، ترجمة: محمد رشدي، ط1 ،المركز القومي للترجمة.

- كمال. زيتون، (2006،(تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها الكترونيا ،القاهرة، عالم الكتب.
- مطبوعة دروس : مقياس اثنوغرفيا الجمهور والسمتخدمين سنة ثانية ماستر ، الدكتورة تومي فضيلة جامعة ورقلة.
- – مطبوعة دروس : مقياس اثنوغرفيا الجمهور والسمتخدمين سنة ثانية ماستر ، الدكتور نور الدين بوزيان جامعة البليدة 2
- GÉRIN-LAJOIE DIANE(2006). L'utilisation de l'ethnographie dans l'analyse du rapport à l'identité, Éducation et Sociétés, N° 17
- Hammersley, M et P. Atkinson,(1995), Ethnography : principal and practice, london, Routledge.
- Silverman, David. (2011). (Ethnographic observation), dans Interpreting Qualitative Data. A Guide to the Principles of Qualitative Research, Los Angeles, Sage Publications.